تحدّيات بلا استراتيجية

ما زال موضوع هجرة اليهود السوفيات الى فلسطين المحتلة، ومسألة توطينهم على الأراضي الفلسطينية، محور اهتمام السياسة الفلسطينية والعربية، وذلك لما تشكله مثل هذه الهجرة، لو تحققت، من أخطار على الشعب الفلسطيني، من جهة، وعلى المنطقة العربية عموماً، من جهة أخرى. فقد قال رئيس المجلس الوطني الفلسطيني، الشيخ عبد الحميد السائح: «ان السماح لليهود بالهجرة الى فلسطين المحتلة يشكل موقفاً عدائياً للشعب الفلسطيني، والأمة العربية، والاسلامية... [ودعا] العرب والمسلمين الى التضامن والوحدة لمنع خطر هذه الهجرة البشرية الهائلة، حتى لا تلحق بالأمة العربية كارثة تضاف الى كارثتي ١٩٤٨ و١٩٦٧ ... [وناشد] قادة الأمة العربية والاسلامية تحمّل مسؤولياتهم والقيام بعمل حاسم تجاه هجرة اليهود السوفيات الى فلسطين المحتلة، وما تشكله من تهديد على الأمن العربي» (الحياة، لندن، ٢/٣/١٩٩٠). وفي خطابه الى لجنة التسعة، التابعة لمجموعة دول عدم الانحياز، في ١١/٣/١٩٩٠، قال الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات: «ان هجرة اليهود السوفيات الى الاراضي المحتلة 'جريمة جديدة تفاجأ بها الأمة العربية والشعب الفلسطيني... اننا مع حقوق الانسان؛ ولكن من حقنا ان نتساءل اين هي حقوق الشعب الفلسطيني، الذي يواجه سياسة عنصرية لا تقل عمّا يشهده جنوب القارة الافريقية' [؟] ... [و] هذه الهجرة 'ليست موجهة ضد الشعب الفلسطيني فحسب، بل تتعداه الى الأمة العربية بأسرها، نظراً الى ما تحمله من تطبيق لأفكار الصهاينة بالتوسع على حساب الأراضي الفلسطينية والعربية' ... [و] هجرة اليهود السوفيات الى الاراضي المحتلة باطلة، كونها تأتي قبل الوصول الى حل سلمي للنزاع الفلسطيني ـ الاسرائيلي، ونتيجة لاتفاقات دولية لم تأخذ في اعتبارها مصالح الشعب الفلسطيني» (المصدر نفسه، ١٢/٣/١٩٩٠).

وقال عرفات، في حديثه الى التلفزيون الجزائري، في ٢٣/٣/١٩٩٠: «ان الخطر لا يعني فلسطين وحدها لانها حالياً محتلة، وانما كذلك جميع الدول العربية، التي عليها ان تتساءل أين سيذهب الثلاثة ملايين مهاجر يهودي، الذين تنوي السلطات الصهيونية استقدامهم حتى نهاية القرن... والفلسطينيون 'لن يقبلوا' مناقشة الهجرة اليهودية قبل احلال السلام في الشرق الأوسط... [اذ] طالما لم يوجد حل شامل، فاننا لن نقبل مبدأ الهجرة اليهودية التي تبدّل ميزان القوى على الأرض» (القدس العربي، لندن، ٢٤ ـ ٢٥/٣/١٩٩٠). فهذه الهجرة، كما قال عضو اللجنة المركزية السابق لـ «فتح»، رفيق النتشة (أبو شاكر)، ستعرّض ابناء «الشعب الفلسطيني لمزاحمة سكانية داخل الأرض المحتلة تؤدي الى اخراجهم من بلادهم وطردهم منها، وتنفيذ سياسة 'الترانسفير' التي يتشدقون بها، وستدفع دول عربية كثيرة ثمن هذه الهجرة، وأولها الأردن» (من مقابلة مع النتشة، الحوادث، لندن، العدد ١٧٤٢، ٢٣/٣/١٩٩٠، ص ٣٨).

ولا يخفي الأردن قلقه من الهجرة اليهودية الى فلسطين المحتلة. فقد قالت مصادر فرنسية رسمية، تعليقاً على محادثات الملك حسين، ملك الأردن، مع المسؤولين الفرنسيين، في اثناء زيارته باريس: «ان المحاورين الفرنسيين صعقوا بمدى القلق الشديد الذي أظهره لهم العاهل الأردني حيال معظم المواضيع الخاصة بمنطقة الشرق الأوسط... ورأى مراقبون فرنسيون ان قلق العاهل الأردني يعكس المخاوف التي ظهرت في الأردن من ان يكون فتح باب هجرة اليهود السوفيات الى اسرائيل مؤشراً [الى] كارثة تنفّذ على حساب الأردن؛ وهذا ما دفع الملك حسين الى دق ناقوس الخطر على هذا النحو الملحّ» (الحياة، ٨/٣/١٩٩٠). وقد قال الملك حسين: «اذا استمر تطور الاوضاع على ما هو عليه الآن، فهذا يعني وصول ٧٠٠ الف انسان الى المنطقة